تواصُل الرَّوابِط بين المشرِق الفِنيقي وقرطاجة
من خلال بعض الشواهد الأثرّية

أحمد الفرجاويّ

تأسست قرطاجة في أواخر القرن التاسع ق.م. تقريبا وسرعان ما نمّت وطوّرت حضارة وعملت على انتشارها في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بالوسائل الدّيبلوماسية والعسكرية، هذا المشروع الحضاري الذي غير وجه المنطقة وجعل قرطاجة ترتبط بعلاقات سلمية أو حربية مع شعوب مختلفة مجاورة أو بعيدة متطوّرة أو أقل تطورا، أعطى انتاجا حضاريا متميزا ولكنه لم يُنسي هذه المدينة روابطها بوطنها الأم فبقت تنظر إليه وتستوحي منه فنونها وآدابها ودينها لكن بعدما حاولت الدّراسات التاريخية حتى السنوات الأخيرة ابعاد السّيمة الشرقية للحضارة البونية أصبحت حاليا تعمل على اظهارها في كل الميادين. في هذا الاطار سأحاول ابراز استمرارية الرّوابط التي تعتبر القاعدة الأساسية لفهم الوجه الشّرقي لهذه الحضارة.

يتجلّى هذا التواصل في الانتاج الفكري واليدوي وعلى سبيل المثال سأختصر على عدّة نماذج من المخلّفات الأثرية. لا يكمن هدف هذا العمل في معرفة المكانة التي يحتلّها الفن الشّرقي بصفة عامة والفنيقي بصفة خاصة في الانتاج الفنّي لقرطاجة أي تواصل هذا الأخير بالنسبة لنظيرة الفنيقي وارتباطه بأصله الشّرقي، تبعدنا هذه الطريقة عن حصر الرّوابط المتزامنة بين هذين العالمين، ذلك لأن العديد من الظواهر الفنّية القرطاجنية ترجع نشأتها في الشّرق إلى الألفية الثانية، فقد تواصلت بحكم التقاليد. سأحاول فقط وهذا من خلال بعض قطاعات انتاج قرطاجة ابراز شتّى الاستعارات المتعلّقة بالنموذج والتقنية والأسلوب التي انتقلت إليها من الساحل الفنيقي.

1) الاتصالات من خلال الفخار :

أ ـ الحبابات

هي نوع من القوارير ذات قعر بيضوي الشكل ورقبة محدّبة، عثر عليها في قرطاجة (صورة عدد 1) ورشجون وموغدور (صورة عدد 2) يرجع عهدها إلى القرن السابع ق.م.

حيث اضمحلّت بعد هذا العهد[1]. لهذه الحبابات البونية موازيتها في فنيقيا، وجدت في الزّيب وصيدا (صورة عدد 3) وجبيل وترتقي إلى نفس القرن[2].

ب ـ المناضد ذات ثلاث قوائم

هي نوع من الصحون الصّغيرة أو الصحيفات، عريضة الشكل مرتكزة على ثلاث أقدام، ظهرت في قرطاجة في المنتصف الثاني من القرن السّابع[3] (صورة عدد 4)، وقد اكتشفت يرشجون في اطار أثري يعود إلى القرنين السّابع والسّادس ق.م. وكذلك بموغدور[4]. معادلات هذه المعاليق نادرة في الساحل الفنيقي وُجدت بجبيل (صورة عدد 5) وسرفند ومجيدو، وأتليت، يصعب تحديد زمن ظهورها ولكن بصفة عامة ترجع إلى العهد الحديدي الثاني[5].

ت ـ القوارير المستطيلة

هي قوارير ذات دهان أحمر فاتح وشكل مستطيل ذي مقاطع ومتّصل بحافّة بارزة، وجدت في قرطاجة (صورة عدد 6) وسلينونت بصقلية[6] (صورة عدد 7) اما في الشرق فعثر عليها خاصّة بصيدا[7] (صورة عدد 8).

ث ـ التّماثيل الصّغيرة

عثر في قرطاجة على عدّة تماثيل صغيرة تشبه تماما نظيراتها في الشرق الفنيقي. التماثيل على شكل امرأة حبلى.

استوت المرأة الأولى على عرش ووضعت يدها اليمنى على بطنها وقد ارتدت قميصا يغطي جسدها ورأسها الا الأذنين والرّجلين والذّراعين (صورة عدد 8أ) اما الثانية فقد جلست مثل الأولى وارتدت نفس القميص ولكنها وضعت مروحة بين يديها[8] (صورة عدد 8ب).

يرتقي هذان النّصبيان مثل نظيراتهما في الزّيب (صورة عدد 9) إلى القرن السادس[9] كان نموذج المرأة الحبلى منتشرا جدّا في الشرق القديم، عثر على العديد من هذه الوثائق في المنطقة السّورية الفلسطينية ويرجع اقدمها إلى القرن الثاني عشر ـ الحادي عشر ق.م ولكن يرتقي معظمها إلى العهد الفارسي وجدت في كثير من المدن مثل صيدا وصور والخرائب وتل أبو هوّام ومقميش.

يوجد بقرطاجة نصيب فريد من نوعه في العالم البوني (صورة عدد 10) وقع ربّما استيراده من الشرق أين عثر عليه بكثرة[10] الجسم يتسع من فوق إلى الأسفل وهو مصنوع بالدّولاب وصنع باليد تصنيف الشعر وجزئيات الرأس، وُضع على رأسها تاج متّسع على الطريقة المصرية ويوجد قرص صغير على بطنها. يشبه هذا التمثال الصغير العديد من أمثاله الشرقية التي تعود إلى القرن السابع ـ السادس ق.م.[11] (صورة عدد 11).

2) الاتصالات من خلال التمائم :

أ ـ التمائم على شكل رأس إنسان

صُنعت من عجين الزّجاج على شكل رأس انسان، يشبه معظم أنواع هذا المنتوج الفنّي الأشكال المتواجدة بالشرق الفنيقي[12] النوع الأول هو رأس صغير ذو لحية غثة وعينين كبيرتين وأذنين في شكل مروحة، تعلو قمّة الرأس جلجلة، الحاجبان بارزان والفم مفقود. انتشر هذا النوع خاصة في الساحل السّوري ـ الفلسطيني، مثلا في الميناء في الفترة التي تتراوح بين 650 و430 ق.م. وفي التل السّافي بين القرن السادس والخامس ق.م.، وجد كذلك في ارواد وفي المراكز الفنيقية بقبرص (صورة عدد 12) أمّا بقرطاجة فنجد ثلاثة نماذج يرتقي احدها إلى بداية القرن السّابع (صورة عدد 13).

نوع آخر يتمثل في رأس ذي شعر متكّون من فتلات ولحية مضلّعة أو مخدّدة، عثر على نماذج بأم العواميد وتل السّافي (صورة عدد 14) وقرطاجة (صورة عدد 15) وترتقي إلى الفترة بين 400 و300 ق.م.

يوجد أيضا نوع آخر متكّون من رأس ذي شعر ولحية متركّبة من فتلات، تواجد بكثرة في قرطاجة ومستعمراتها (صورة عدد 16) عثر على نموذجين فقط بالشرق الأول بصيدا (صورة عدد 17) والثاني بالاسكندرية، يرتقي هذا النوع إلى الفترة التي تتراوح بين 330 و200 ق.م.

يحتوي القسم الأخير على رأس ذي شعر مفتول ولحية. يوجد نموذج واحد بالشرق، بالميناء (صورة عدد 18) واثنين بقرطاجة (صورة عدد 19) يعود هذا الشكل إلى القرن الثالث ق.م.

تجدر الملاحظة إلى ان أقدم نماذج من هذه التمائم ظهرت في نفس الفترة في فنيقيا وقبرص وقرطاجة وترتقي إلى الفترة التي تتراوح بين القرن السابع والخامس. يمكن تفسير العدد القليل لهذه الرؤوس الزّجاجية بقرطاجة باستيرادها من الشرق. أمّا الأنواع الحديثة فقد وقع اكتشاف معظم نماذجها بهذه المدينة

ب) التّمائم على شكل حيوان

تعود التمائم على شكل لبّة (شكماة) في قرطاجة[13] إلى القرنين السادس والرّابع ق.م. (صورة عدد 20). للنماذج القرطاجية معادلات اكتشفت في قبرص، وتعود إلى القرن الخامس ق.م. عثر على نموذج واحد في صور ويعود إلى نفس القرن (صورة عدد 21).

أما التّمائم على شكل كبش (آمون رع) فقد انتشرت في القرن السادس ـ الخامس وخاصة في القرن الرابع بقرطاجة وصقلية. (صورة عدد 22) عثر على علبة واحدة بصور، تعود إلى القرن الخامس (صورة عدد 23).

ان أقدم تميمة على شكل صقر ترتقِي إلى القرن السادس ق.م. (صورة عدد 24) أمّا النموذجان الآخران فهما يعودانا إلى القرن الثالث ق.م. تواجدت علب هذا النوع باسبانيا بين القرنين السابع والسادس، أما بصور فهي تعود إلى القرن الخامس. (صورة عدد 25).

3) الثوابيت ذات الغطاء على شكل انسان :

ظهرت هذه الثوابيت بقرطاجة في القرن الثالث ق.م. (صورة عدد 26). تحمل اغطيتها تماثيل لأشخاص ضاجعة، تنطوي هذه الأغطية على تأثيرات يونانية بارزة[14]. عثر على نماذج من هذا النوع في عدّة مستعمرات قرطاجيّة باسبانيا وصقليّة[15].

حسب معلوماتنا الحالية يعتبر المصريون أوّل من صنع هذه الأغطية ثم انتقلت هذه الصناعة إلى الساحل الفنيقي أين انتشرت وبلغت أوجها في القرن الخامس والرّابع، عثر على العديد من هذه الأغطية في جبيل وأرواد وخاصة بصيدا (صورة عدد 27) وتظهر التأثيرات اليونانية مثل قرطاجة في الحديثة منها[16].

لقد انتقلت تقنية صناعة هذه الأغطية بسرعة إلى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط حيث ان نموذج اسبانيا يرقي إلى القرن الخامس ق.م.

4) الأشكال المصوّرة على الأنصاب :

شخّص على الأنصاب عديد من المواضيع منها ما هو متداول في كل الحضارات كمختلف الأدوات، والمهن والحيوانات ومنها ما هو من أصل فنيقي ولكنه صوز على الطريقة اليونانية ومنها ما هو مأخوذ من العالم اليوناني، كما نجد أشكالا فنيقية ظهرت في نفس الفترة في الشرق الفنيقي وقرطاجة.

أ ـ الهلال أو قرص الشمس أو الاثنين معا وقرص الشمس المجنّح أو المحيط بحبّات :

رسمت هذه الأشكال على النّصب من القرن الخامس إلى القرن الثاني، الشكل الأوّل فنيقي، ظهر منذ عهد بعيد[17]، انّ رسمه في العديد من المرّات في وسط مثلّث في القسم الأعلى من النّصب (صورة عدد 28) يشبه تماما رسمه على تيجان الأعمدة التي تعود إلى القرن السادس بقبرص[18] (صورة عدد 29).

أمّا الرّمز الثاني فقد انتقل من مصر إلى السّاحل السوري ـ الفلسطيني منذ السّلالة الفرعونية الثامنة عشرة، نجده بقرطاجة في القرن الخامس ق.م. يتواجد هذا الزّخرف المبسّط وبدون أجنحة في المدن الفنيقية أكثر من تواجده في مصر، رسم مثلا على الألواح العاجية في القرن الثامن على الأنصب بأم العواميد في القرنين الثالث والثاني[19]، أمّا بقرطاجة فقد ظهر

بقلّة في القرن السادس ق.م[20] زيّن النصب التي تعود إلى القرن الثالث تقريبا والنقود التي ضربت بين 241 و237 ق.م.

ب ـ الأشخاص

من بين الأشخاص المصوّرة 1 والمنحوتة داخل النّصب، نجد رجالا وقد غطّوا رؤوسهم على الطريقة المصرية وارتدوا وزرة أو تنورة أو نساء يحملن أقراصا فوق صدورهنّ أو واضعين أديهين على ثديهن. تواجدت هذه الأشكال في فنيقيا وقبرص في نفس العهد[21].

تسمح صور الأشخاص بمعرفة الهندام المتداول في تلك الفترة، فمثلا صُوّر على نصب كاهن يحمل طفلا (صورة عدد 30). يرتدي هذا الكاهن كساء شفافا من الكتّان وقد وضع على رأسه قبّعة مستطيلة[22]. تغطيه الرأس هذه فارسية الأصل، انتقلت إلى فنيقيا على الأقل في القرن الخامس. نلمحها على نصب أم العواميد (صورة عدد 31) وصيدا وصور[23].

ت ـ العلامة المعروفة باسم علامة تانيت :

تتمثل في مثلّث تعلوه دائرة وخط أفقي ينتهي في العديد من الأحيان بخطين صغيرين (صورة عدد 32). ظهرت هذه العلامة في قرطاجة في النّصب منذ القرن الخامس وقد عرفت رواجا كبيرا وأخذت قوالب متنوعة ونظرا لتواجدها بكثرة في العالم البوني، ظن الكثير أن هذا الرّمز يخصّ فقط هذه المنطقة ويميزها عن الساحل الفنيقي الا ان في السّنوات الأخيرة، عثر على هذه العلامة في العديد من المدن الفنيقية كأم العواميد وسربطة وبيروت[24] وعلى الساحل الفلسطيني (صورة عدد 33) كما اكتشفت قناديل من الفخار بمصر تحمل هذا الرمز[25] (صورة عدد 34).

الخاتمة :

تمس هذه الاعارات العديد من الظهوار الفنّية التي عرفتها قرطاجة طوال تاريخها فهي تشهد بالحاح ان هذه المدينة كانت باتصال بوطنها الأم وان الجسور لم تقطع بين الشرق الفنيقي وعالم قرطاجة.

لم تكن هذه الاستيعارات منحصرة في عناصر سهلة التّنقيل بل تجاوزتها لتشمل جزئيات التقنية والأسلوب فأتت الأعمال الفنية وحتى الصناعية البونية شبيهة بمثيلاتها الفنيقية بالرّغم من أنها تحتوي على خصوصيات وابتكارات تعطيها ميزة خاصة.

المراجع

1 — P. Gaukler, **Nécropoles puniques de Carthage,** Paris, 1915, T. I, tombe 316, pl. XCVIII, G. Vuillemot, **Reconnaissances aux Echelles puniques d'Oranie,** Autun, 1965, p. 149, fig. 54.

2 — W. Culican, «Phoenician Oil Bottles and Tripod Bowls», **Berytus,** 19, (1970) p. 10, Pl. I, A.

3 — A. Delattre, «La nécropole punique de Douimes, fouilles 1895-1896», **Cosmos,** 1897, fig. 97.

4 — G. Vuillemot, **Reconnaissances aux echelles puniques d'Oranie,** Autun, 1965, fig. 14, 14 b et 18; P. Cintas, **Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc,** Paris 1954, P. 124, fig. 54.

5 — R.S. Lamon et G.M. Shipton, **Meggiddo, I Seassons of 1925-1934 Strata I-IV,** Jerusalem, 1962, fig. LI, pl. CXLVII, 27; C.N. Johns, «Excavations at Pilgrim's Castle Atlit (1933) : Crematal Buriols of Phonicien Origin» **Q D A P , 6, 3-4 (1937) p. 145, fig. 10.**

6 — P. Cintas **Céramique punique,** Tunis; 1950, P. 91, Pl; VI, n° 74 A.M. Bisi «La ceramica di traidizione fenico-punico della occidente», **Africa,** 3-4, 1969-1970 (1972), P. 28-29, Pl. VIII, 2.

7 — W. Lunlican «Lidonia Bottles», **Levant,** 1, (1975), p. 145-150, pl. XXXIII, XXIV.

8 — P. Cintas, Manuel d'Archéologie punique, 19, T. I, P. 422-423, Pl. XIII, fig. 50 A et 51.

9 — M. Prausnitz, «Chronique archéologique» **RB,** 67 (1960), P. 398, Pl. XXV, b.

10 — A.M. Bisi, les déesses au tympanon de la Mésopotamie à Carthage», **Aryriological Miscellanies,** Copenhague, 1980, P. 61, Pl. IV, I.

11 — A.M. Bisi, **ibid,** p. 61.

12 — M. Seefried, **Les pendentifs en verre sur noyau des pays de la Mediterranée antique,** Rome 1982.

13— B. Quillard, **Contribution à l'étude de la parure punique.** thèse de 3ème cycle soutenues à Paris, 1979, P. 407-415.

14— R.P. Delattre, «Les grands sarcophages anthropoïdes du Musée Lavigerie à Carthage» (ext. de Cosmos), Paris 1404.

15— V. Tusa, «La questione di Solunto e la dea femminile seduta», Karthago, 13, (1963-1964), P. 20, Pl. II et III; E. Kukahn, «EL sarcofago sidonio de Cadiz» **Archivo espanol de Archéologia,** 24 (1951) P. 23-34.

16— E. Kukhan, **Anthropoid Sarcophage in Beyrouth,** Berlin 1955.

17— G. Contenau, La civilisation phénicienne, Paris 1949, P. 106, fig. 18.

18— G. Perrot et Ch. Chipiez, **Histoire de l'Art dans l'Antiquité,** T.III, Phénicie, Chypre, Paris, 1885, P. 116, fig. 52 et 53.

19— M.E.L. Mallowan, **Nimroud and its Romains,** T. II, Londres, 1966, fig. 549, M. Dunand et R. Duru, **Oumm El Amed, une ville de l'époque héllénistique aux échelles de Tyr,** Paris, 1962, Pl. XXV et LXXXIII, 1.

20— G.K. Jenkins, **Carthaginian Gold and electrum Coins,** londres, 163, P. 41 et note 1.

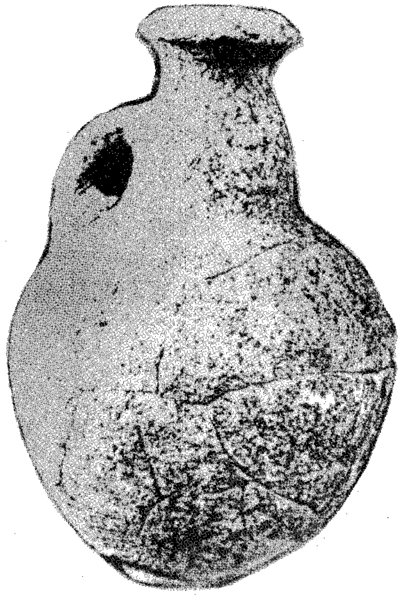
21— M. Chéhab «les terres cuites de Kharayeb, texte et planches, **B M B,** 10 (1951-1952), P. 19; 11 (1953-1954) Pl. I.

22— L. Poinssot et R. Lantier «un sanctuaire de Tanit à Carthage» **R H R,** 87, 1 (1923) P. 47, Pl. IV, 2.

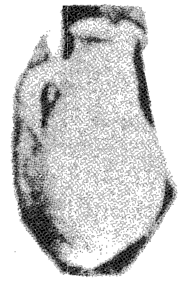
23— M. H. Fantar, **Le dieu de la mer,** Rome, 1977, P. 78.

24— M. Dunand, R. Duru, **Oumm El-Amed, Paris, 1962, P. 175-177, Pl. LXVIII, 1-2 M. Bothan, «A Signe of Tanit form tel Akko» I E J,** 24, (1975), P. 44-49.

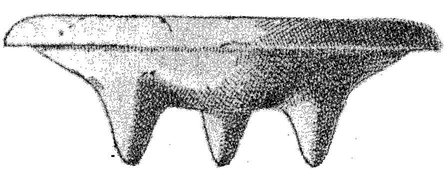
25— Graig S. Karr, «Evidence of the signe of the Goddess Tanit in the Theban Region of Egypt», **I E J,** 31 (1981), P. 95-96, Pl. 16 B.



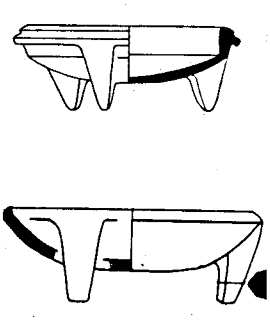
2



1



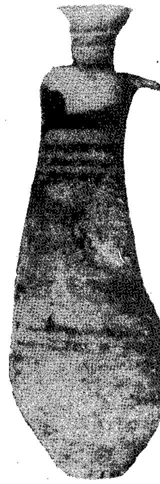
4



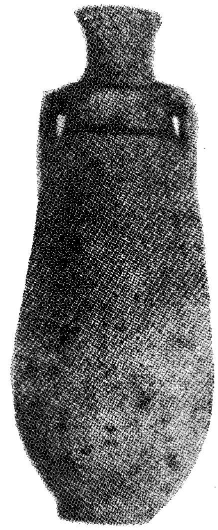
5



3



7



6



8 ب



8 أ



8



10



9



12



11



14



15



13



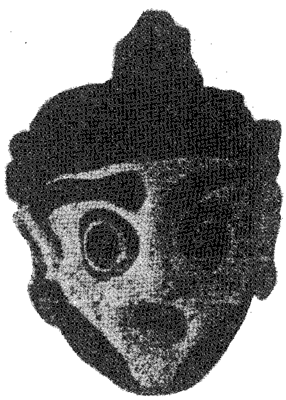
17



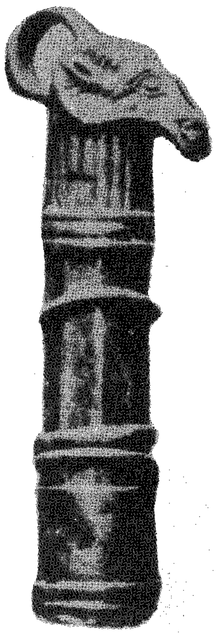
16

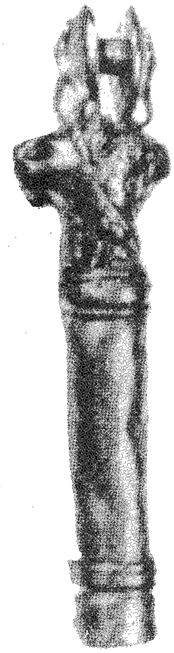


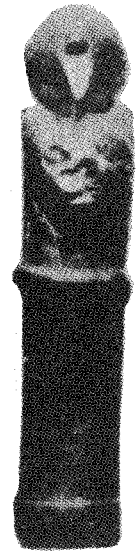
19

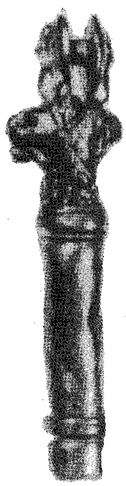


18

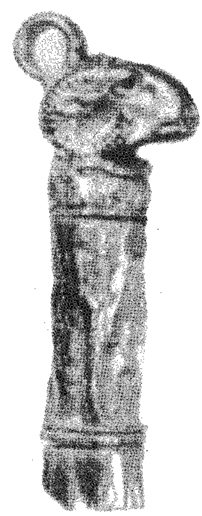

22

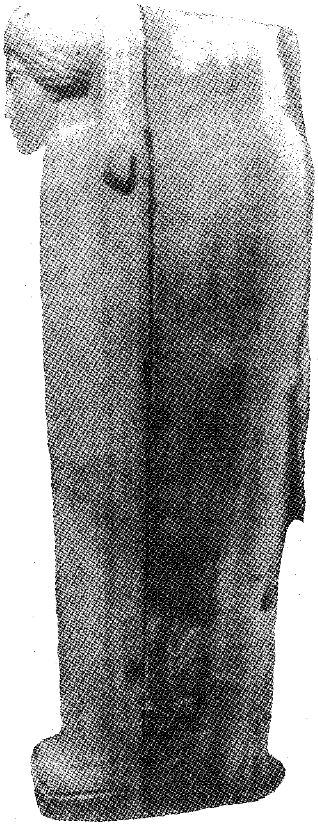

21


20


25


24

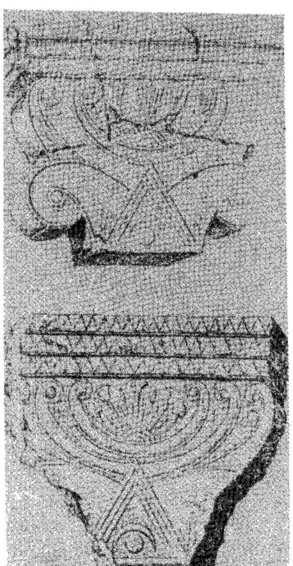

23



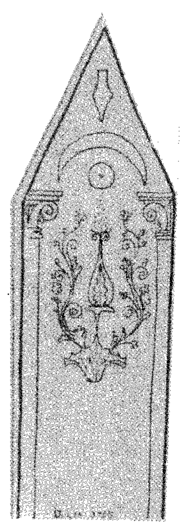
27



26



29



28



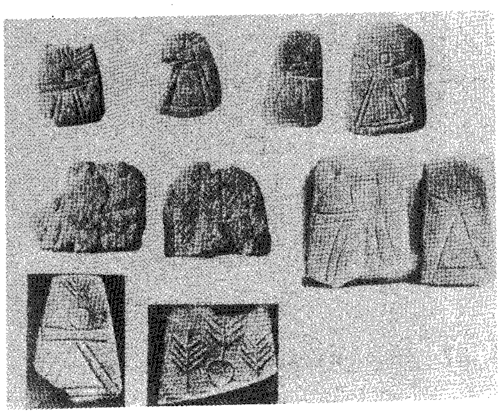
31



30



32



34



33